كلمات الى غسان

قبل ست سنوات ، وفي الثامن من تموز، قامت المخابرات الصهيونية بنسف جسد مناضل فلسطيني في بيروت مع ابنة اخته « لميس » ، كان « الغرباء » يريدون ان يعرفوا ماذا عند العرب غير الحرب والقتلوالبترول والخيل والليل .

ولكنهم اكتشفوا في العصر الفلسطيني ماذا يعني الفلسطيني ، وما هو حجم معاناته .. وأصالته في الحس والتعبير ، وبعملية نسف الجسد ، سرق غسان لحظات عمره من بين اصابعنا بعد ان اكمل رحلته الاخيرة عائدا الى عكا .

لقد فسر لناغسان الحياة ، ومن يستطيع تفسير الحياة بوعي جديد ، ورؤية جديدة يستطيع ان يفسر لنا الموت على الطريقة الفلسطينية ، لان المسافة بين الجسد ـ الارض تكون ملغية من كل حسابات التجار في هذا الزمن العربي الرديء .

من اجل هذا لم يكن فراقه لنا مفاجئا ، ولا طريقة اغتياله ايضا .

ربما يكمن ذلك ايضا في ان المسافة بينه وبين عكا لم تكن من دون دليل كما كانت المسافة بين « حامد وغزة والاردن طويلة بلا دليل » .

« رجال في الشمس » يموتون دون صراخ .
« ما تبقى لكم » ودخول البطل الفلسطيني مرحلة

الموت لا في مجانية الموت ، بل داخل الفعل لصنع اللحظة الانقى ، والاجمل ، عبر ضباب وضياع .

يا رفيقنا غسان .

ايها المسكون بالقضية « كيف تريد ان تفسر الموت دون ان تكلف نفسك عناء تفسير الحياة دونه » ؟

ها الزبداني يذكرك ، مدرسة وكالة الغوث ، الكويت ، بيروت .

ايها الباحث عن افق .

ان السيد مرض السكري لم يستطع ان يقذف بجسدك بعيدا عن مائدة الحياة لان « اسرائيل » كانت بالنسبة لك المرض الاكبر ، ولهذا بدأت الكتابة من نقطة الصفر : من المخيم . و « خيمة عن خيمة بتفرق » . ومن اجل هذا فاجأت بكتابتك العالم بعد سنوات قليلة .

ربما لانك لم تكتب للفلسطينيين وانما عنهم . وبالريشة ، والقلم ، والبندقية ، اقانيم ثلاث داخل القضية ، في صلبها ، لا في تماسها او بعيدا عنها . كان الرفيق المناضل غسان يقترب من الشهادة في عراء هذا الكون شيئا فشيئا حتى اغتياله وتمزيق الجسد .

هل فارقنا غسان .

اسألوا « رجال في الشمس » ، الارض ، الرجال والبنادق الذين يصنعون مجد هذا الوطن .

اسألوا ام سعد . بوصف ما تقدم كان جزءا من المعارك التي كان غسان يخوضها بكل كبرياء وشرف وأمانة ووفاء . وعندما يصبح الدم هبرا فان الكثير من المفارقات والمصادفات تلتغي .. لقد سرق غسان الموت في الثامن من تموز قبل ست سنوات ليعود الى عكا ونحن على دربه لسائرون .

« عبد الرحيم احمد »

انطباعات سريعة عن عالم غسان كنفاني القصصي

لا يستطيع اي كاتب ان يحيط بعالم غسان كنفاني القصصي في صفحات محدودة . ذلك ان عالم غسان هو عالم الانسان العربي الفلسطيني .

لقد عاش غسان حياة قصيرة ، غنية ، حارة ، متوترة وسمات حياته وخصائصها انعكست على ادبه وفنه ، لم تستطع القصة القصيرة ان تستوعب طموحات واشواق غسان ، وكذلك الرواية ، والرسم ، والكتابة الصحفية والرسم ، وحتى هذه الفنون مجتمعة لم تستوعب تلك الحياة الغنية ، الشرسة ، المقاتلة ، ولكن تلك الحياة المتوترة (فنيا) تتطابق تماما مع الحياة الشخصية المتوترة انسانيا .

لقد جاء غسان كنفاني ليشكل امتدادا متطورا للقصة القصيرة التي يكتبها الفلسطينيون ـ ولا اقول قصة فلسطينية ، لانه لا توجد قصة فلسطينية أو عراقية ، او مصرية ، او سورية، الخ، وانما توجد قصة عربية بشكل عام ، مع وجود خصائص تغنيولاتشكل حدودا ، او حواجز ولكن غسان كنفاني لم يكن مجرد امتداد عادي ، وانما شكل قفزة عملاقة . مع مجيئه توطدت مسيرة القصة القصيرة الملتزمة تماما . انّ رائحة ثورية جديدة قد اخذت تهب من قصص ذلك الكاتب العملاق .

لقد تقدم غسان دون الاعتماد على احد ، او وصاية ، او تقديم ، او حملة تطبيل من الاصدقاء ، كما كتب في مقدمة مجموعته القصصية الاولى (موت سرير رقم ١٢) . وكان رفضه لجواز المرور الى القارىء ، يعني ان يقدم قضيته فنيا ، وان لا يعتمد علىالدعاية . وقد وعى غسان ان تقديم عالم الانسان العربي الفلسطيني يحتاج الى عدة اشياء ، والتوغل ، والتغلغل في نفس الانسان الفلسطيني شيء اخر .

لقد تكرس الاتجاه الملتزم عند غسان ، وبشكل حاد ومصيري ، ونهائي ، في مجموعته القصصية ارض البرتقال الحزين ، التي نشرها له اتحاد طلبة فلسطين .

وفي قصص تلك المجموعة ابتعد غسان عن الرومانطيقية البكاءة التي وجدت لنفسها مكانا في القصة العربية التي تكتب عن فلسطين ، واستلهم الروح البطولية من ماضي شعبنا العربي الفلسطيني .

بعد المرحلة الواقعية في موت سرير رقم ١٢ ، وأرض البرتقال الحزين ، اتجه غسان الى القصة الواقعية الرمزية ، التي تعتمد الايحاء ، وتختزل عالما مكثفا ، مركزا ، وهذا ما جسدته قصص مجموعته عالم ليس لنا .

لقد اكتشف غسان ان العربي الفلسطيني مرفوض في العالم العربي المحكوم بانظمة رجعية ، المزق بحدود اقليمية مفتعلة . وقد اكتشف ان الحياة لا تستحق ان تعاش اذا لم يحمل الفلسطيني صخرته ـ صخرة سيزيف ـ ويبلغ بها القمة ، ويعطي دوره الوطني ، القومي الحضاري .

لم يتوقف غسان عند تخوم اليأس ، ذلك انه رفض نفي الصهيونية له ، ولانسانيته ، وكما بدأت الصهيونية (ادبيا) ، بدأ غسان بالاسهام ، وبشكل جبار في انجاز الرد الادبي (الفلسطيني) على الصهيونية عدوة الانسانية . لقد واصل غسان كنفاني كتابة القصة القصيرة شبه وحيد ، ولفترة طويلة ، واستطاع ان يفرض نفسه باعتباره واحدا من اهم كتاب القصة القصيرة العرب ، وأبرزهم . انني هنا لا اقلل من دور المرحومة سميرة عزام ، التي قدمت قصصا فلسطينية ـ من حيث الانتماء الوطني ـ في غاية الاهمية ، مثل ، خبز الغداء ، وفي الطريق الى برك سليمان، والفلسطيني، وغيرها ، ولكن التزام غسان النهائي ، والحاسم ، وايمانه بضرورة بلورة النقيض الثوري القومي ، لمواجهة الصهيونية ، وبالاعتماد على العربي الفلسطيني في البداية ، هو الذي ميزه في تلك الفترة المبكرة عن كثير من الكتاب الفلسطينيين .

ومن هنا فان غسان كنفاني قد انجز هدفين هامين جدا :

اولا : مهد الطريق لجيل من الكتاب الفلسطينيين الملتزمين بقضيتهم الوطنية .

ثانيا : حقق انجازات تقنية متطورة وضعت الجيل الذي جاء بعده امام مسؤوليات فنية غير سهلة ، وان كانت غير معوقة .

لقد استخدم غسان كنفاني في قصصه القصيرة منجزات القصة القصيرة وتقنياتها ، من القصة الرسالة ، ومرورا بالقصة الحوارية والقصة المونولوج ، وحتى القصة العادية السردية .

وهو في قصصه كلها لم يكن يلعب ، او يعمل على ابهار القارىء . ولكنه استخدم الوسائل الفنية والتقنيات ، ومنجزات القصة القصيرة العربية ، والعالمية ، من اجل ان (يصل) بقضيته الى العقل والقلب .

وعالم غسان القصصي ، واقعي صلب ، شاعري حزين ، رومانسي بلا رخاوة ، عالم مكثف ، مقطر ، مشحون ، مستعد ، لانه عالم الجيل الفلسطيني الذي كبر وشب في المنفى ، والذي حمل الحنين للوطن ، وعانى من القهر ، وعاش (حلم) الوحدة ، وفشلها المؤقت ، ومرارة الانفصال ، واقتتال وتناحر القوى الوطنية والتقدمية ، هذا الجيل الذي كان عليه دائما ان يستعيد، وطنه من ذاكرة الاباء ، ليحمل هذا الوطن في داخله .

الفلسطيني بهذا المعنى ليس هو المواطن الذي يعيش في وطن . ولكن الفلسطيني هو المواطن الذي يعيش وطنه في داخله . لهذا فان الوطن الذي رسمه غسان في قصصه ، هو على نحو ما (معادل الوطن) ، وهو وطن (الصوفي) البعيد ، القريب ، من معبوده . ولكن علينا أن نتذكر ايضا ان هذا الوطن هو على مرمى البصر ، ومن هنا لا معقولية بعض القصص التي كتبها غسان كنفاني ، ان يطرد شعب من ارضه ، وان (تحل) بدلا منه مجموعات غريبة عجيبة من كل انحاء العالم ، يجمعها فكر اسطوري غامض ، وطموح استعماري شرير ، فهذا هو قمة اللامعقول ، ومن هنا كان العالم القاسي ، اللامعقول ، الذي رسمه قلم ذلك الكاتب الفذ .

في ذكراه اقول : الكتاب الفلسطينيون الذين جاءوا بعدك ، يعطون ، وسيواصلون العطاء . انهم (جيش) من المقاتلين بالكلمة ، وكلماتك ، وقصصك ، وحياتك ، هي مشعلهم .

رشاد ابو شاور

عن « الكفاح العربي »

غسان كنفاني

في ذكرى غسان كنفاني

ـ في الثامن من هذا الشهر ، ومنذ سنوات ستة كان جسد غسان كنفاني ، جثة تتناثر اشلاء هنا وهناك لتملأ العالم ضياء ، واخضرارا .

ولكن لماذا قتلوه ؟

لانه فلسطيني من عكا ، اقتلعوه من العتمة ـ من منبته طفلا اخضر .. حمل فلسطينيته ، كما حمل المسيح صليبه ، وراح يزرعها شجرا ، وشمسا ، ورجالا .. في الشتات ـ في القلب ـ في فتات الخبز اليومي .. في التعبير عن هموم انسان العصر .

ـ في غسان كنفاني ، تحققت مقولة قلما تجد تجسيدا واقعيا لها عند احد ... كلنا نريد توافقا بين السلوك والقول ، ولكن قلة منا من يوافق ما بين سلوكه وأقواله ، وغسان كنفاني كان من القلة التي نبحث عنها كثيرا .

كانت الثورة همه الاول وكانت فلسطين همه الكلي وكان الهمان حياته التي تناثرت اشلاء نور في عتمة عالمنا .

كان ينادي في كل كتاباته بالثورة ، وبتحرير الانسان ، وايضا كانت حياته نذرا للثورة والتحرير .. كان يقول ويناضل لتحقيق اقواله .

ـ في ـ رجال في الشمس قال :

الرجال ذاهبون الى الظل ليبقى دائما تحت الشمس الدافئة الملتهبة ، مكان لرجال جدد .

وفي يوم السبت ذهب غسان الى الظل . ولكن الشمس بقيت ساطعة .

ـ غسان ليس موضوعا للرثاء .. انه حضور دائم ، انهثورة في داخلنا .. غسان ما زال بيننا .

عمار مصارع

عن « الثورة » السورية